« فصار تفكيري مشبعاً بالنظرة الليبرالية الاميركية (الانجلوسكسونية) ، واتخذت موقفا معاديا للشيوعية والاتحاد السوفياتي . وقبلت بنظرية التنافس الحر والديمقراطية البرلمانية دون اي تساؤل او تردد » (ص ١٢٠) .

وهذا ما يجذبه عن وعي او لا وعي الى الدوران في فلك الشملكة . فالتحول الجذري في الموقف الفكري ترتب عليه الانتظار حتى نكسة الخامس من حزيران في التقائها مع بلوغ المثقف العربي صاحب المذكرات عتبة الاربعين من عمره .

اما بالنسبة الى الواقعة التي تنطلق منها مذكرات الجمر والرماد ــ « غادرنا بلادنا في وقت محنتها دون اي تردد او شعور بالذنب » (ص ١٤) ــ فان شرابي يحاول تفسير هذا السلوك دون تبريره ، وهو يعترف بعجزه التام عن القيام بذلك . وهنا يضعنا وجها لوجه أمام طبيعة الموقع الفكري لطبقة او فئة المثقفين في المجتمع ، ويلقي شيئا من الضوء على طبيعة وملابسات الدور الذي ينتظرهم او يناسبهم :

« ربما كوننا مثقفين ساعد على نر الرماد في اعيننا ، فصرنا نرى الأشياء من زاوية الفكر المجرد وحده ، وهكذا بدت الدنيا لنا موضوعا لكلامنا وفكرنا ، لا مجالا لتحقيق افعالنا وأعمالنا » (ص ١٤) .

لقد اختار شرابي كطالب جامعي ان يدرس الفلسفة تبعا لرغبة كانت تدفعه بالحاح « في ان اتخلص من حالة القلق النفسي والضياع الفكري التي كنت فيها » (ص ٢٧) . وقد يضيق بنا مجال هذه المراجعة لو شئنا التوقف عند القليل فحسب من تفاصيل المراحل التي مر بها تطوره في حقل دراسة الفلسفة ، والاشخاص والمفكرين الذين يأتي على ذكرهم معترفا بفضلهم ومشيرا الى التأثير الذي مارسوه والوقع الذي تركوه في نفسه .

كما انه لا يسعنا التوقف عند الناحية التي تشغل القسم الأكبر من الجمر والرماد ، الا وهي انضمام هشام شرابي الى الحزب السوري القومي الاجتماعي في ١٩ حزيران ١٩٤٦* ، بعد ان سبق له الالتحاق بجمعية سرية تهدف الى تحرير الوطن العربي وتوحيده . فالجو الفكري والعاطفي الذي انتقل اليه صاحب المذكرات ــ لدى « انتقالي فكريا من مركز القومية العربية الى نقيضها القومية السورية »لم يتميز كثيراً عن الجو الذي كان فيه . والتحول الجذري الذي مر به تفكير شرابي وموقفه بعد مرور ما ينيف على العشرين عاما منذ انتقاله بين القوميتين يتجلى على افضل وجه في الفقرة التالية التي من شأنها اثارة الانتقادات الشديدة ، اذ يقول :

« فالموضوعات التي كانت تمثل لي في ذلك الحين صلب الحقيقة لم تعد الأن تعني لي الكثير . موضوع الأمة ، ماذا يعني لي اليوم ؟ وتاريخ الأمة او حضارتها ، عربية كانت او سورية . ما اهميته ؟ الافكار المصاحبة لهذه النظرة او تلك ، لم تعد لها قيمة متميزة بالنسبة لي . ما يهمني اليوم هو حياة هذا الشعب المعذب ومصير هذه الجماهير المستغلة المستعبدة . جميع الأفكار والقيم والأهداف التي تدور حول حياة الشعب ومصير الجماهير لم تعد تمسني او تعني لي شيئا » (ص ٧٢) .

وتكتمل الدائرة حين تعود بنا الذاكرة الى مقدمة

---

* يريدنا شرابي في مذكراته ان نخرج بانطباع مؤداه ان المثقف الملتزم بموقف حزبي قد تخلى نهائيا عن التزامه غداة اعدام مؤسس الحزب وفي اعقاب عودته الى اميركا هربا من الاعتقال والمطاردة . بيد ان المقالة التي نشرها شرابي في العدد السنوي الممتاز (١٩٥٧ ــ ١٩٥٨) من **المجلة** (السنة الثانية) بعنوان « فلسفة جديدة » تنبىء باستمرارية في السير على خط التفكير الحزبي وفي تقديم المزيد من الشروحات لفلسفة العقيدة القومية الاجتماعية وصفاتها البارزة .

[انظر مجلة فكر ، العدد ٢٥ ، ٢٦ ، السنة الرابعة ، ايلول ــ تشرين الثاني ١٩٧٨ ، ص ١٤٥ ــ ١٥٥] . ولا بد من التساؤل عن الدوافع التي حدت كاتب المذكرات الى اغفال هذه الناحية او تجاهلها لانها تمد بحياته الحزبية وتبقي على الاتصال والاستمرار في خط تفكيره الحزبي ضمن اطار العقيدة القومية الاجتماعية ومنطلقاتها الفكرية والفلسفية . فهل جاء الاقصاء متعمدا ام انه اغفل سهوا ؟ ولا غرو فان الانقطاع البارز في المذكرات يشكل هوة زمنية وفكرية ليس من السهل القفز فوقها واسقاط التحول على هزيمة الخامس من حزيران ١٩٦٧ .